القراءة الفلسفية التاريخانية للوثيقة(مقاربة استقرائية)

Lecture philosophique historique du document

مصطفاي عبد القادر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - ملحقة جامعة ابن خلدون بقصرالشلالة/ تيارت الجزائر
البريد الإلكتروني*mosaek7@gmail.com*

تاريخ الإرسال : 31/ 12/ 2020	تاريخ القبول: 2021/01/25	تاريخ النشر: 2021/02/28

ملخص باللغة العربية :

من باب التوضيح ؛ العمل عبارة عن مجرد "قراءة" مبسطة باسم منهج فلسفة التاريخ النقدي والانتقادي وليس مقال (تقليدي) يستدعي التدقيق والتهميش بطريقة كلاسيكية وحتى الإحالة للمراجع شكلية، لأننا أمام الورقة "الوثيقة" نملك أبجديات التفكير "الإبستمي" فقط!

... لأن ثمة - على الدوام - " فلسفة للتاريخ " فإن المناسبة - **الخمسينية** - تُملي علينا - كمدرسين بأقسام العلوم الإنسانية في الجامعة الجزائرية اليوم - أن نُسهم - و لو بالنزر القليل - في تسليط شعاع من أضواء العقلانيّة الفلسفية على هكذا وثيقة غاية في الأهمية ؛

... إذن، بغض النظر عن التحليلات التاريخية التقليدية للحدث " الثوري " الجزائري النوفمبري ؛ ارتأينا – وربما بنوع من الجرأة على أهل الاختصاص – أن نطرق الموضوع الذي يُعنى تحديداً " بدراسة وثائق الثورة ومواثيقها " ...

كلمات مفتاحية :

[فلسفة التاريخ - ابستمولوجيا -الفكر النقدي-تعدد المناهج - التحليل الدلالي - الحجاج العقلي - بيان ونداء - حتمية ديالكتيكية- حق وواجب]

تقديم :

... الوثيقة التي نستهدف إمعان النظر الفلسفي فيها ليست أية " وثيقة " ؛ إنها " **بيان** " تواصلي متفرد لمُوقدي ثورة المليون و نصف المليون من الشهداء البررة بكل مفاخرها؛ أمّا القراءة التي نتوخى من وراءها هدفا نقدياً محضاً إنما هي عبارة نظرات من زاوية "ابستمية " يراد لها بكل تواضع أن تكشف نقاباً عن " ما وراء " طبيعة و لغة و مضمون (البيان) إياه .

... على أن الأسلوب هذه المرة سيكون مختلفاً بالكليّة عن الطرائق التي تركز على جمع المادة و المصادرو الشهادات ... و ما إلى هنالك ؛ على أننا سنستعيضُ عن كل ذلك بالتعليلات المنطقية وبلسان القلم الإنتقادي الموضوعي لنصل بقراءتنا إلى بيان ماهية ؛ و أهميّة البيان النوفمبري الذي هو **"أول نداء للشعب الجزائري"** عشيّة الثورة الأخيرة على الكولونيالية الفرانكفونية التي عمّرت أكثر من قرن و نصفهمن الزمن (المرير) على أرض وعلى وجدان الجزائريين. الجزائريوُن الذين سيأتي بيان جبهة التحرير الوطني ليقوضهم من سباتهم "الطوباوي" الطويل!

من ناحية أخرى آن الأوان لمخابر تاريخ الجزائر؛ و الحركة الوطنية أن تتدعم بآراء و تحليلات الدارسين من غير مُدرسي ، و طلبة التاريخ و الذين يظل على عاتقهم حمل الجهد الأكبر من عبء إخراج الأرشيف الثوري - خاصة ومثلاً في ما وراء البحر- إلى النور ...

على كل حال الإحاطة بوقائع " ثورة " و كذا " استقلال " الجزائر من خلال نصوص معاصرة لزم في رأيينا المتواضع أن يتدعم بملحق ؛ يضم قراءات (صورانيّة) متفلسفة كما قلنا - ولما لا استيتيقية - وسوسيو/سيكولوجية حتمن خلال الإسقاطات على بُعدي " الزمكان " المتلاحمين آنذاك تلاحم الشعب مع كفاحه المستميت !. إن كل دراسة عقلانية بعيداً - عن الذاتية - لوثيقة من عيار البيان النوفمبري ؛ تقتضى كتابة عُصارة الذهن المجرد بكل تأني و بلا سفسطة " دوغماتية " اللهم إيفاء تلك الأسطر الذهبية حقها من التأمل العميق ؛ كما قلنا بقراءة أفقية جداءٍ مركزة . نحيلُ المتصفح لهذه الأوراق على تحليلات توليديّة مغايرة لأفكار" بيان " كانت وجهته الأمانة العامة للجبهة التي حملت لواء التحرير؛ مع مقاربة استقرائية للخطوط العريضة له ولعدة نقاط : للمبادئ . للدوافع للأبعاد . للغايات للمحتوى . لـ" المطلق " و" النسبي " في كل ذلك. بإيجاز إشكالنا المحوري ههنا هو : بعد 50 سنة من الاستقلال ؛ إلى أي حد يمكن فهم بناءات . دلالات وسياقات بيان الفاتح نوفمبر بذهنية فلسفية هذه المرة ؟

... نحيل أنفسنا ؛ و إياكم إلى عدة عناوين رئيسية (تقديرية) تجيب على الإشكال الآنف الذكر بتحليلات تهم ملخص مضمون الموضوع:

أولاً : المقتطفات ؛ و المفردات الدالة على تبني موقف شبه فلسفي و تحليلها –

جاء في نص البيان●(السطر الأول والثاني ،من الفقرة الأولى)؛ والخطاب للشعب عامة و للمناضلين من أجل القضية الوطنية- أن ..." *نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل ؛ بأن نوضح لكم مشروعنا و الهدف من عملنا ، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية...*" .

إذن منذ البداية النزعة "شبه الفلسفية" غير خفية في الديباجة - وان لم تكن مسيطرة بطبيعة الحال- فهي بالتأكيد ومضات تفهم من السياق على أن الذي يعنينا هو أن القصد من العبارة أعلاه يمكن أن نختزله في بديهية أن دواعي البيان بعيدة عن السطحية تماما فهي "مشروع " بكل ما للكلمة من مغزى وطموح ! (عُد لمفهوم المشروع لدى **مورس أنجرس**)[1] .

من حيث السند ؛ الرأي المُعبر عنه تكفل بصياغة فحواه كما في (السطر الأول - من الفقرة الرابعة) فحسب " *مجموعة من الشباب المسؤلين المناضلين و الواعيين* " وعلينا أن نضع خطا تحت كلمة شباب بما تحمله من حيوية وتصميم ؛ حيث وضعت " برنامجا سياسيا " حقيقيا غايته "الاستقلال الوطني".

إننا أمام مفردتين(الوعي) و(الغائية) نقف مشدودين إلى تلك الروح المفعمة التي تملكت كتبة تلك الفقرات القوية المركزة بحيث لاتترك مجالا لأية تحويرات من شأنها أن تفرغ البيان من مضمونه ودلالاته.

إلى ذلك الهدفان المذكوران في البيان *" الداخلي" و" الخارجي"* مع تحديد *" وسائل الكفاح"* يُعبران في (الجزء الثاني من البيان) عن رؤية إستراتيجية " **للعقد الاجتماعي** "° الفريد من نوعه في هذه الحالة بين "المنادى" أو المرسل و"المتلقي" وحتى عن قبس من الفلسفة السياسية العامة.

[1] موريس انجرس ؛ منهجية البحث في العلوم الانسانية ؛ ترجمة سعيد سبعون وآخرون - نشر دار القصبة - الجزائر دط .2009 (صفحة جرد المصطلحات التذييلية)

... تمهيدا للانتقال من حالة إلى حالة و في الجملة فإن هنالك بدائل موجهة بالتحديد (للآخر) - و هو نفسه العدو - في تلك الحقبةتتمثل خاصة في مصلحه ، واحترام شخصيته وثقافته إذا - و فقط إذا - صارت لازمة عن ندية أو عادت *" موضوعاتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل "* كما ورد ذكره حرفيا في (بند النقطة الثالثة من فقرة " المقابل")

لقد وردت *" النحن"* ك (أنا) جمعي (ذكرت بالمناسبة كذا مرة مضمرة ومعلنة) في ثنايا مُتون البيان بما يرهن نجاح المشروع التحريري برمته ؛ عن طريق التضامن الوحدوي الشامل بين مختلف الطبقات ؛ كما لم يحصل منذ " الاحتلال الفرنسي للجزائر"[2]. الطبقية هنا ليست **أرسطوقراطيّة** و لا **ماركسية*** حيث أن ذلك من قبيل تحصيلات الحاصل لشعب قد قرر الإنعتاق الكبير من ربقة الإستدمار وكذلك من "العدمية"!

القراءة العمودية - الآن - تجعلنا ننتقل من "النسق" إلى "المحتوى" ؛ ففي الأول من نوفمبر سنة 1954 للميلاد // الموافق للخامس من ربيع الأول سنة 1374 هجرية اندلعت الثورة التحريرية الكبرى فكان الخروج الكبير للشعب الجزائري لأجل نيل الحرية - حرية بمعناها الفعلي - لا الميتافيزيقي ؛ ولأن الأمّة رفضت الاحتلال على مر العصور فإنه سيلزم - و بكل القناعات الممكنة - ستُضحي من جديد من أجل العيش بكرامة وهذا ما تعكسه العبارة الثانية من " الندهة " - كما يسميها جماعة الأدب اللغوي - (الديباجة / السطر الثاني) في الصرخة الهادئة *" أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية "*. وهذا أيضا ما شُفعت به آخر عبارة... (السطر الأخير للبيان)

باسم الجماعة الوطنية. تقول الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني *" إننا نقدم للوطن أنفس ما نملك"*.!

ما بين التسمية الافتتاحية ؛ والإقرار الختامي يوجد الآتي :

- تعريف **بالمقصود** من البيان ؛ والتنظيم الذي تكفل بتحريره . وإبلاغه . وتوزيعه.
- تقرير عن راهن الحركة الوطنية المؤسف إلى غاية كتابة تلك الأسطر... فلنتأمل فقط في جملة وردت في (السطرين الأول و الثاني / الفقرة الثالثة) :

" إن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود و الروتين"

- الأهداف قصيرة و طويلة المدى - **داخليا و خارجيا**(سبعة بنود / القسم الثاني للبيان) ...الغالب أنه كانت بلورتها لقاءات ما قبل مؤتمر "الصومام" و مجموعة الـ (22) التاريخية.

[2] محمد الهادي الحسني؛ الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة؛ منشورات – مؤسسة عالم الأفكار؛المحمدية (بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية) 2006 ص.06

- **الجهات الموجه إليها النداء**بصفة مباشرة أو غير مباشرة : الشعب /المناضلون – المستعمر – الدول المغاربية – الأمم المتحدة ... مثال عن هذه الجهة الأخيرة يتجلى في عبارة *" تدويل القضية الجزائرية "* (الأهداف الخارجية /البند الأول)

- دعوة إلى الاصطبار والأمل : (وسائل الكفاح / السطر الرابع) *" إن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر مُحقق"*.

- المتكلمون باسم الوثيقة ؛ أفكارهم و وسائلهم أو لنقل **الذوات و الأدوات** ؛ من هم ؟ وعلى من يعولون؟ إنهم وطنيون ؛ يعولون على الشعب .كلُ الشعب !

- أفكار مستقطعة للعزف للمستعمر على وتر **السلام الممكن** و إن كان مع العدو المستعملر والمبرر التقليل من *" الخسائر البشرية وإراقة الدماء "* (وسائل الكفاح / السطر الخامس) . مع كل ما ستضمنه جبهة التحرير الوطني في مقابل الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري وتنفيذها؛ لكن هل هناك حياة و "إنسانية" لمن يُنادى هنا !

- غاية الغايات ! : التأكيد على **الاستقلال** التام .

- ... فيما بعد ؛ على جيل التحرير وجيل الاستقلال *" إقامة الدولة الجزائرية ..."*كما تصفها بالضبط "الوثيقة" (الأهداف : البند الأول مكرر)

ثانيا : ما يقوم مقام الحجاج الفلسفي على القضية " الإيديولوجية "موضوع البيان إياه.

الأدلة التي تحمل بين ثناياها شيئا من النزعة الفلسفية و التصورات العقلانية ؛ لا تخفى على أستاذة فلسفة تاريخ الأفكار على الأقل ؛ بحيث أننا نسوقها – على التتالي مع الجمل و الكلمات التي أضحت تناظرها في المواقف سابقة الذكر- بفنياتها اللغوية من منظور (بنيوي) بعض الشيء ؛ فمن منطلق التوضيح تأتي البرهنة على الأهداف العاجلة والآجلة بمقول قول(السطر الثالث/ الفقرة الأولى) مفاده : ... *"رغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية و عملاؤه الإداريون ، وبعض محترفي السياسة الانتهازية"*. مما يفهم إذن من خلال النسقية ذاتها أن الصبغة " الدبلوماسية " جلية في هذا النص . نذكر ذلك "إلى جانب ذكر الطبيعة التاريخية الملازمة للنصوص"[3] من هذا القبيل أصلاً.

مقتطف مزدوج آخر يزكي التزام ما بعد الوعي بالمسؤولية "التاريخانية " في (السطرين الثالث و الرابع / الفقرة الرابعة) : -*" إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات..."* وأن الاستعمار*"هو العدو الوحيد الأعمى الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمي أن يمنح أدنى حرية "* إذ نجد أنفسنا

[3] عبدالحميدزوزو؛نصوصووثائقفيتاريخالجزائرالمعاصر؛موفمللنشر.الجزائرالطبعةالمزيدةص.09

أمام مبدأ المصلحة العليا للوطن الأم ؛ و في ذلك تنازل عن (الفر دانية) بالكلية ، و إعلاء نقيضها الفعلي .

هذا من جهة ؛ من جهة أخرى التّوصيف القوي للاحتلال بأنه لا يرى ؛ وطبعا لا يسمع (...) يُوحي بعنجهيته وغطرسته و بربريته -منذ الغزو[4]- بحيث لم تثمر كل محاولات التفاوض معه قبل الثورة ! المهم أن الغياب القصري للحرية كحاجة فطرية و اجتماعية شكل بدوره حركة دافعة ماورائية المعنى وتراكمية المبنى ستُساهم آليا في تفجير المكبوتات التي ضاقت بها صدور " الإرادت العامة " كما يسميها **جون جاك روسو**.. و على فكرة ولمحاسن الصدف يعد - روسو- هذا أحد أبرز منظري عصر الأنوار ومنأولئك الذين أذكوا نار الثورة الفرنسية على الملكية ومنه تمّ رفعُ شعارات (الحرية) ؛ و (الأخوة) و(المساواة) عالياً ! ...وبالنسبة للاستدلال الاستنباطي التالي ؛ أي حجة أقوى من الحاجة إلى **الغاية الأسمى** وهي عينها *"الهدف: الاستقلال الوطني"* (القسم الثاني / السطر الأول) والذي لابد أن يكون كاملا يقيم أسس الدولة ؛ دولة اجتماعية / ديمقراطية ؛ لا شرقية ولا غربية . لا ثيوقراطية ولا علمانية (...) إنها نتاج (الكفاح) . إنها *" الدولةالجزائرية ...ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية "* (الهدف / البند الأول) فلا إفراط ولا تفريط . أريد لها - فيمايبدو -أن تكون وسطيّة بين مغالاة اليساريين ؛ وغلو اليمينيين !! هكذا كانت قد بدت للبعض ملامحها النظرية . دولة تنتمي من دون شك لأمة. و تكتمل الصورة مع أمل يمثل القاسم المشترك الأكبر؛ ألا و هو *" تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي"* (الأهداف الخارجية / البند الثاني) ؛ أليست في ذلك رؤية استشرافية ممتازة لو قدر لها أن تحقق بالمفهوم **الوحدوي** ؟ ؛ على أية حال ليس هذا موضوعنا الآن !وباسم "النحن": ... مُجدداً(السطر الختامي من البيان) من أجل الانتصارمسك ختام الكلام *:" إننا نقدم للوطن أنفس ما نملك "*. هذا ماحرره أبناء نوفمبر موجهينه لعموم أبناء ورجالات الوطن المفدى.

لسوف تعرفُ الثورة أحداثاً و نتائجا ؛ (هي براهينها العملية) لتؤدي بدورها إلى انتصارها ((التحاق للطلبة - الأطباء / التنشيط الدبلوماسي - تأسيس صوت الثورة الإعلامي / صيانة مقومات الهوية الجزائرية - حكومة مؤقتة / أفقُ العلاقة بين الدولتين ...)) الذي يهمنا فيها في هذه المعاينة "المتعقلنة" أن الوثيقة / الرمز التي يحتفظ بها بهو في كل المتاحف الوطنية لـ "المجاهد"هي من سبق لها شرف الدعوة لها بشكل أو بآخر لذلك - أو على الأصح توقعه - و يتضح ذلك - من جديد - في جملة عبارات مدروسة كما ينبغي - والتفلسف التحليلاتي تعامل مع العبارات المتعالية التحقق الوجودي،كما يرى أنصار الوضعية المنطقية - إليكموها عطفا على ما سبق وضعه بين قوسين مزدوجين ...

[4] محمد الهادي الحسني؛ المرجع نفسه ، ص. 11

... إن القضية ' لسوف *" تجدُ سندها الدبلوماسي "* (السطرالثالث / الفقرةالثانية) يكتب المحررون النوفمبريون . سيؤكد ذلك ما يعرف لدى البعض بـ "ديبلوماتيك الحرب من 1956 الى 1962 "[5].

- سيأتي الدور *" تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية "* (الأهداف الداخلية / البند الثاني) لاسيما طلاب الثانويات المثقفين و منتسبي الجامعات و حقوقين و حتى أطباء . هناك حتى أجانب ؛ بل فرنسيين (جاك فيرجاس محامي جبهة التحرير – فرانس فانون مداوي جيش التحرير ...!)

- *" سنواصل الكفاح بجميع الوسائل، حتى تحقيق هدفنا "*، (السطر الأول/ وسائل الكفاح) و من بينها إضافة إلى المواجهات العسكرية ؛ الحرب الإعلامية .. "الإذاعية بالتحديد" التي صارت مرافقا

- المقومات المقصودة أشارإليها البيان بدون تحفظ: *"التاريخ والجغرافيا واللغةوالدين والعادات"* (البند الأول / وسائل الكفاح) إذ أن التقاطعات بينها تجعل من الشخصية الجزائرية مؤمنة بوجودها وبمصيرها.

- كل تفاوض وكل اتفاق ممكن أثناء الثورة ؛ و قبل وقف إطلاق النار- كما يتعرض له بيان فاتح نوفمبر في كذا موضع - فيما أسماه أصحابه *" الوثيقة المشرفة "* (السطر الرابع / وسائل الكفاح) بالطبع انه لن يكون كما يفهم من أبجديات السياسة إلا مع طرف ذو هيكل تنظيمي ؛ و لن يكون سوى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (معلومٌ أنها تأسست بالفعل في 19 سبتمبر 1959).

- أخيراً - و ليس آخرا - ضروري أن *" تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر "* (المقابل / البند الثالث) الجزائر المستقلة ! إنها كامل الثقة في الله ثم في الشعب بـ " النصر " كـ " حتميّة " تاريخية ؛ و من اليوم الأول من الأعوام الثمانية الآتية بالتقريب ... .

تلك مجردُ تأويلات. لا يمكن لأيّن كان أن يتيقن كل التيقن بأن نص النداء - الذي بين أيدينا - فعلاً تلك هي مقاصده الفعلية والنهائية ؛على أننا فقط آثرنا أن نتبع خطى الدراسة الدلالية غير المقيدة بأنموذج تخريجي ؛ أو تحليلي مُعين لبيان يعكس بالفعل فلسفة الثورة الجزائرية ؛ و التي كانت مدار تأملات تنظيرية ؛ سواء في المقالات التحليلية أو رسائل الماجستير ؛ أو أطروحات الدكتوراه .

ثالثاً : البيان ؛ و المتابعة النقديّة / تعليقات – تعقيبات – تقييمات –

الممارسة النقدية المعاصرة تقييميه أكثر منها تقويما لموقف ما، تكون آليا على مستوى الشكل ، وعلى مستوى المضمون ‘فإذا ما طبقنا مقاييس الألسنية واللغوية ؛ وفلسفتها البراغماتية من نوعها اتضح للعيان أن الأسلوبية التي التجأ اليها محرري فقرات البيان كانت مرجعيتها ؛ وطنية قومية – وإن قيل (جدلا) أنها كتبت أولا بالفرنسية ؛ وإن يكن ‘فإن الأصل في اللغة أنها "**حيادية**" على أن الذي يهمنا هو استجلاء طابع الموقف العام ؛ فهو يبدو إنشائيا بدون تكلف ولا إطالة ، تعليلي في انتقاله من المقدمات إلى النتائج اللازمة عنها بالضرورة ؛ و ليتطابق مع الفكر مع الواقع آنذاك على الأقل .

[5] bderrahmane kiouane . les débuts d'une diplomatie de guerre (1956-1962), Ed-dahleb.blida/ Voire : le presentation...

إذا ما وفقنا في استعارة الأدوات "اللنغويستية" ، سيتضح لنا أن التحولات الخارجية ألقت بضلالها على "سيميائية" الخطاب الموجه للشعب على اختلاف توجهاته ؛ وإن كان أفراده يحملون نفس "الهم" ، ثم إلى النخب السياسية ؛ والحزبية على تباين التجاذبات التي اصطنعتها الإمبريالية بينها ،(هذه الإشكالية في صلب اهتمامات المؤرخين) . إلى ذلك الحجج راحت تحمل الصبغة "البعدية" بالمصطلح "**التراندنستالي**"** ... *يتضح* ذلك في بداية البيان كخطاب اتصالي فريد من نوعه ؛ متفرد في جنسه لاسيما في مفردتي "*ستصدرون حكمكم*" (الفقرة الأولى/السطرالأول) التي لها دلالة على ما يستقبل من الزمان القريب ؛ فضلا على أنها توحي بأن **الرجال** كانوا على دراية بأن النضال سيكون طويلا عسيرا على رأي مفدي زكريا !... **والحجاج** - صورياً دائماً - يكتسي الطابع الاستنهاضي التحذيري، كما في عبارة: "*إن المرحلة خطيرة* " (الفقرةالرابعة/السطرالأول) وفي ثنايا الوثيقة ملمح آخر لا يخفى كثيرين من أهل - الاختصاص- في نظرية "الأصالة والمعاصرة" كما في تطرق أصحاب ذلكم البيان لحتمية المزاوجة بين طرفيها عند " *إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطي ةالاجتماعية* " (الهدف/البند الثاني) ثم في نظرية "القانون الدولي"لما "*تحدد الروابط بين فرنسا،والجزائر وتكون موضوع اتفاق* " (المقابل/البند الثالث). هكذا تظهر حكمة من تواضعوا على فحوى ومنطق البيان والذين لم يغفلوا بالضرورة احتمالية (اتفاق ما) ؛ كيف لا ؟! وقد وضعوا في الحسبان ذلك -حتى من قبل أن تندلع الثورة - في مناسبتين على الأقل ؛ لما يقولوا"*أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة* " (وسائلالكفاح/السطرين الخامس والسادس) وأيضا عند الاستعداد من *أجل" فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري* " (وسائل الكفاح/البند الثاني). بمعنى أن **العنف**ْ الّذيسيضطر إليه الطرف الجزائري إن هو إلا رد فعل على بطش العدو بالشعب وهو عنف مشروع بمبرر تقرير المصير، وقبل ذلك بمبرر عقدي خالص وهو الجهاد في سبيل الله و الوطن!

لاجرم أن ((الجزائر بين المفكرة ؛ و التاريخية)) لها ((أبعاد ومعالم)) تمهد لها مع أفكار شخصية وطنية[6] مسألة محسوبة على التفلسف' ألا وهي جدلية "الفكر واللغة ؛ المذهب والأداة " فإذا ما أسقطناها من منطلق السجال على "مكاسب النصر ومسؤوليات النخب القيادية " آنئذ ؛ وكذا على الحالة حينها " الدولة والمجتمع :قراءة أولية في أبجدية المفاهيم السياسية " ألفينا أنفسنا بذا " أساس الوحدة ، وجوهر الوطنية " قبل أن يتبلور تدريجيا بسقطاته ، ونهضاته - فيما بعد - مع الدولة المستقلة .

[6] لفهم المقتبس في هذه الفقرة فهي مستقاة من مؤلف :

د.محمد العربي ولد خليفة ؛ المفكرةوالتاريخية - أبعاد و معالم ؛ نشر دار الأمة ؛ الجزائر. دط 2010

الفقرة الأخيرة تحيلنا مباشرة إلى " المسكوت عنه "! إلى الإنتقادية الموضوعاتية (الحقيقية) بمعية (نظرية المعرفة) الفلسفية كما لم يتعرض لها غيرنا في حدود معلوماتنا . إذن بعض السلبيات النقائص ؛ التحفظات ؛ الثغرات - سمها ما شئت - بلا مزايدة يوجد بعض أو شبه منها في منطوق البيان وهذا من طبائع الأمور ' فالوثيقة مثلها مثل غيرها عمل بشري صرف يحتمل النقصان والقصور بطبعه أوليس العقل قاصرا أصلا ' والإنسان أبعد ما يكون عن الكمال ؟! بلى ...وعليه يبدو للقارئ بعد خمسين من السنيين على إخراج البيان إلى العلن في ظروف أقل ما يقال عنها أنها حرجة ؛ وصعبة للغاية . محليا وإقليميا .هي كذلك اليوم فما بالك بالأمس... لا علينا البيان لا يخلو من الشواهد الصريحة التدعيمية ؛ ومن الأقوال ومن التمثيل ولو المقتضب منها وحتى للأسف - غير الشديد - من الآيات المحكمات وهو الذي بدأ بالبسملة ! . هذا لا يفسد للود قضية إنما لعل أجنحة متعلمنة وقفت وراء ذلك لئلا يبدو الأمر وكأنه حربا دينية بين الهلال والصليب كما خلفه التراث الكنسي الوسيطي . أيضا البيان النوفمبري المحكم في عمومه يشوبه أنه غير مصنف ؛ بالرغم من كونه يحمل كل مقومات "النداء التاريخي" غير أن المتفحص لما بين الأسطر يستنبط ما يلي :

- يوجد (نظرياً) فرق بين **البيان** و **النداء** لدى الأكاديميين، وهذا ما نقف عليه عند المراجعات لأهم النماذج عبر تاريخ الأمم. و إن كان هذا ليس ديدننا في هذا التعقيب.

- البيان النوفمبري الخالد يحمل الكثير من مقومات **الميثاق** ؛ بما تحمله اللفظة من مرامي غاية في الإدراكية من الناحية **الهرمنيوطيقية** كما يقول بعض المتفلسفة الغربيين الجدد - **غادمير*****نموذجا -... وقد لانكون مبالغين إذا ما قارنا البيان بمشروع **"الميثاق من أجل السلم والمصالحة"** [7] الذي تبنته الدولة الجزائرية مؤخرا بغض النظر عن الموالاة للنظام من عدمها.

- البيان في كلمات ثلاث : أقصر دستور تحرري في العالم الحديث ! الفكرة للنقاش.

- البيان يحتاج لتحليلات. دعوة ليكون موضوع أيام دراسية ؛ ولما لاحتى ملتقيات وطنية ؛ ودولية.

- عندما يتكلم حبرالبيان بمترادفتين غير تداولتيين في معجم اللغة العربية الحديث مثل : *"حلفائنا الطبيعيين"* (السطر الثالث/ وسائل الكفاح) فإن ذلك يؤكد فرضية تحريره أولا بغير لسان الضاد ... ومع ذلك كانت الترجمة في المستوى ؛اللهم مقولة *" القضاء على الفساد و روح الإصلاح ..."* (الأهداف الداخلية /البند الأول)، ربما القصد سوء الإصلاح !! على كل العبرة بـ [الرسالة] المراد إيصالها وإن كانت بالصينية !! ...إن مقاربتنا الاستقرائية هذه ؛ وبغض الطرف عن "منهجية البحث والعرض التاريخيين" [8] كما وضعها

[7] مرسوم المشروع المذكور- باللغتين-لاسيما المادة 3 – المطلب 5 :- Projet de charte pour la paix et la réconciliation nationale 2005

[8] المنهجية مثلا كما في " دليل الطالب " / منهجية البحث والعرض التاريخيين من وضع. محمدالعربي معريش؛ ضمن سلسلة كتب نشرتها الرابطة الوطنية لإطارات الشباب/ الطبعة الأولى – الإصدار السادس .1997

بعضهم تفرض علينا استخلاص "العلائق" بين الرسالة ؛ والجوانب الإيجابية منها ؛ وفيها والتي تتسع لتشما في رأيينا كل الأفكار التالية ؛ دائما بنبرة فلسفية :

- استغلال المصادر واستقرائها يُجبرنا على الإستكناه من الاقتباسات الأنفة ؛ ومن غيرها كما سيأتي ذكره عما قليل ؛ لأجل تقديم حصاد القراءة الكاملة للنص في نسخته الأصلية ؛ إذ ما يستوقفنا أن البيان سجل حرصه تجنيب المخاطبين " الالتباس " كما توقفنا عندها في المطلب الثاني ، لأنهم سيخوضون حرب التحرير ،بكل قناعة لا كما حاول "المتقدمين"، خاصة "خريجي زوايا المقاومة" الانفعالية منهم شكر الله سعيهم ؛ إنما كما تقتضيه الفعالية **البراغماتية**[oo] في أقوى صورها **المثالية** (مبادئ البراغماتية المذهبية التي تنسحب على الميدان الحربي الجيوسياسي)

- إن **الغير** لما يكتب عن " تاريخ حرب التحرير الجزائرية " كما هو الحال مع صاحب كتاب يحمل ذات العنوان على سبيل التنويه لا الحصر؛ يغدو مثلا يبحث عن "فرصة مغيبة" بين الجزائر"الفرنسية" وفرنسا الأوربية... في تلك الأحقاب عوضا أن يعود إلى البيان ؛ الذي كان من الممكن أن يجد فيه إشارات كما نبهنا إلى ذلك في قضية التفاوض الممكن !

- الاتجاه الوظيفي إن صحت التوليفة التحليلية للعناصر البنائية البيان ؛ كما نستلفه من عند التيار المرجعي للبنيوية كآخر أشمل النظريات الفلسفية يبين أن السياق التعبيري في الوثيقة التي نعكف على تهجي مدلولاتها التفكيكية من نوعها ؛ لم يكن أبدا اعتباطيا أو ناتجا عن نمط من الضغط أو التسرع ؛ بل إن الصلات القائمة بين العلامات الخطابية تبين أن مفاهيمها تعددية في الفضاء العام للكتابة بما من شأنه أن يضمن **التلقي** الإيجابي لهذا الخطاب والقيمة القصوى منه...

- **تعميقا** للمفاهيم النقدية دائما ؛ واضح أن دور اللغة في إثارة الجماهير بمعزل عن أعداد المتلقين ؛ وواقعهم لا خلاف فيه ؛ بحيث المحتوى بين التقييد ، الإطلاق ،يراد له أن يسهم في الارتقاء بالواقع إلى مستوى المأمول، والقصد أن الفكرة **التوزيعية/التحويلية** موجودة ولو عرضيا كما في عرف المدرسة الفيلولوجية المقارنة ؛ قصد دعاة البيان ذلك أو لم يقصدوا .

- إن هذه الكتابة التاريخية الثابتة والرسمية من لدن الجالسين على الدائرة المستديرة لـ"الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني" و أمانتها الوطنية ،عبارة عن **إعلان حرب/ إعلانسلم** في آن واحد! كيف ذلك ؟ . عُد لعبارتين لا أكثر :*" تصفية النظام الاستعماري "* (الأهداف الداخلية/ البند الثاني) مع ..." *رغبتنا الحقيقية في السلم "* (وسائل الكفاح /السطر الخامس) يقول أصحاب النداء –البيان . من دون تعليق !

- **مجهر** البحث التاريخي **المعياري** لما يسلط على وثيقة ثورية ذات حجم ، ونفوذ كالتي نتخذها مصدرا للدراسة النقدية ، والإنتقادية بالمعطي الإيجابي وجب أن يكون قد نفذ إلى المغزى من وراء التشخيص الذي جاء به البيان النوفمبري ؛ بما يشكل إضافة لتلك النسخة الأرشيفية المتميزة جداً ... . بقي أن يُضاف إليه الإسهام الموازي من طرف الباحثين في حقول العلوم الإنسانية ، وهو ما نلح عليه

مرة أخرى في هذه السانحة .فلسفيا العلاقة بين النداء الكبير ، والحادثة الثورية التي ستعقبه غير خفية البتة ' والشاهد أن تفاعل مكونات الثورة كواقعة ممتدة يكاد يكون صناعة واقعية ؛ دافعتها الحركية هي الوثيقة التنظيرية التي ولدت من رحم الأزمة كصناعة للتحدي ، في ظل المتغيرات العالمية حينها.

- لقد تطرقت الوثيقة بجرأة كبيرة لمعضلة الاستعمار كظاهرة ؛ و كاستبداد العلاقة بينه وبين أهل الأرض الفعليين اتسمت دائما بتحلل احدهما من الآخر، وبالمحصلة استحال التعايش رغم مكابرة العدو ولأن الحدث التاريخي **بداية ونهاية** كان مفروغ منه أن الاستعمار سيندحر ،لكن متىوكيف؟ (هو) ما وثقه البيان ؛حدد ساعته الصفر، وطرائقه وبذا عجل بنهاية المستعمر من حيث لم يكن يتوقع رغم خروجه منتصرا بوجه من الأوجه مع الحلفاء النفعيين عقب الحرب الكونيةالثانية!

- مجددا إذا كان **النقد طريقا إلى الفهم** ، فإن الدعوة إلى فحص النداء التليد في تلك اللحظة التاريخية الساطع إشعاعها ؛ وسحبه إلى الفترة التي نحياها عقب نصف قرن من الزمان على خروجه إلى العلن تحمل في طياتها إقرارا بأهمية التفسير المتجدد للتاريخ كفعل ؛ كعقل أكثر منه كحركة إلى الأمام ؛ بمعنى إيلاء أهمية "قيمية" لما يسمى بفلسفة التاريخ ، بحيث تأتي الفلسفة بعد التاريخ أي يأتي النقد بعد الحدث.

- لأن عنوان قراءتنا - دائما - هو **النقد الاستقرائي** و لأن العصر هو عصر النقد الفكري بامتياز ؛ فإن لابد من تداوله بعيدا عن هواجس التقديس ؛ القصد أن لا ينظر المؤرخون وأساتذة تاريخ الثورة بنوع من الريبية لهكذا محاولات ؛ وان كانت غير معهودة وبالتالي إنزالها في مدرج بعيد عن المعدات التاريخية الكلاسيكية كالصور و الخرائط و الوثائق والكتب ...

- نكرر أن **التبصر في الميراث الوثائقي الحي للثورة الجزائرية**، يستلزم عدم المصادرة على المطلوب في أي جهد مهما كان مصدره لإماطة اللثام عن جزء و لو يسير منها ؛ و بالشكل الذي يرتأيه الدارسين (كل حسب اختصاصه) وفق المقاربة المنهجية التي تعطي أهمية للتجربة الفلسفية فقد تقدم خلاصات ؛ ولما لا اقتراحات تفيد في إعادة بلورة المكتسبات الفكرية للنخب المتعلمة!

- ثم... ألا توجد **حلقات مفقودة** في وثائق الثورة ؛ و مواثيقها وكذا في الدراسات حولها ؟ كيف السبيل إذن لإدراك ذلك من عدمه وقد انتهت " القابلية للاستعمار" إلى غير رجعة !

ختـام :

ما يمكن الخُروج به أن لا مناص للمهتمين الأكاديميين بـ " الدرس التاريخي " من تقبل ولوج الباحثين الآخرين لميدان دراساتهم وهو مطلب بالنسبة للبعض غير قابل للتأجيل ؛ وان كان مثيراً للجدل على أن نظرية المعرفة البشرية لا تعترف بالتخصصات الضيقة ولا بأحكام الاتجاهات السائدة في هذا .

إن كل محاولة لـ " فلسفة التاريخ " سواءً كان حدثاً أو مادة وثائقية مرجعية عبارة عن تفحص لأوراق التاريخ الجاهزة منها خاصة وترجمة مضامينها السيمولوجية كما اجتهدنا في هذه المحاولة الإنشائية ؛ مع العمل عل تجاوز العوائق الإبستمولوجية لا سيما ما تعلق منها بحكم "القيمة" وإن كان ليس سهلا ولا متاحاء إيجاد تلك العلاقة التي من المفروض أنها حميمية بين التاريخ ، وبقية العلوم الاجتماعية الأخرى ؛ فما بلك بفتح الحدود البينية فيما بينها !

من يكتب التاريخ ؟ سؤال - خارج الميتافيزيقا - أجاب علية كُتاب النداء النوفمبري على الورق بطريقة تبريرية صرفة وأخذوا العلامة كاملة ؛ لما قضى الأمر لصالح أطروحاتهم ، بعد أن وضعت الحرب التحريرية أوزارها ، تبعا لصيرورة الوقائع المكرسة على الأرض ... لما يتعلق الأمر بالمعالجة التحليلية لوقائع مفردة ؛ فإن عامل الشخصية في التاريخ مهم ،لأنه هو الفاعل المتميز العارف بالتحولات وان كانت الشعوب هي التي تصنع الحوادث التاريخية وفق منطق المنعطف الحضاري الخلدوني ؛ وبالتالي فإن كل تفكر في التاريخ بما هو تحقق تدريجي للعقل. بين أن العقل المجرد في صورته الأخرى المحرضة هو من يحكم العوالم والحوادث بواسطة الأحكام كما المسارات التي يرسمها للحدث التاريخي وهذا ما جاءت به نظرية "التقدم" الغربية النهضوية ؛ نريد أن نقول أنه كان وراء النداء عقل ؛ أكثر من عقل واحد هو من وضع المعنى والمبنى و حدد المنهج و المقصد.

إن التناول الذهني التجريدي للمادة التاريخية لا يلغي لها طابعها " الماضوي_المادي / الماهوي " إنما هو فقط تطبيق لنزعة الرغبة الوضعيّة في إشباع التجلي الدلالي الفلسفي ؛ وتمكينا للروح النقدية البناءة جرياً على شعار **الوضعيين** الأصلاء **"أعطونا وثائق . نعطيكم حقائق"** فكل معرفة للتاريخ تتبلور بالفهم "كهاجس" و قبس من هذا الأخير هو الذي دفعنا للخوض في أكثر المحاور التي تُطرح للإثراء جاذبية برغم تعددّية الآراء فيها ! .

جل التحليلات والتفسيرات التي قدمت حول البيان - ليس مقام المقال مناسب للإتيان على ذكرها - بحاجة إلى أن تتدعم بإعادة قراءة مفردات تلك الوثيقة الشاملة و المتوازنة - بمعية أدوات فلسفة اللغة و اللسانيات وبمعيّة مُسلمة أن ثمة " عقلاً في التاريخ " - ومراجعة كل أبعادها ومقارنة استراتيجيها بمثيلاتها في حينها ؛ خاصة وقد حصل فيما بعد تحقق أغلب أهدافها من خلال العمل على إخراج دلائل جديدة إضافة إلى الهدف الأساسي من وراء صياغة تلك البنود دون غيرها ؛

فمحرري ذلكم البيان وجهوا بيانهم ، ليس للاستهلاك المحلي أو الخارجي بل ليكون مرجعا "للثورة" أولاً.. ثم "للدولة" ؛ فليس من الصدفة أن تتعالي دائما الدعوات لتثمين القيم التي تبناها على أن ذلك مهم لكن الأهم هو الخروج بها من حيز التكلم النظري. النداء الذي وجهه أعضاء الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني - الأمانة العامة - في البيان رقم"01"إذن راح يحمل أفكارا مستقيمة وممنهجة في وقتها احتاجت للتطبيق والتنفيذ أكثر من حاجتها للقراءة والتأمل والعكس صحيح تماما.

... الآن يأتي الدور على "العقل" في " التاريخ" كما قلنا ! . إن الوقفة التي أفردناها تأتي لتثرى منتدى الذاكرة - من خلال وثائق الثورة - ولو بالنزر القليل من الأفكار ذات الملمح الفلسفي التأويلي في سطور؛ إنما هي ربما مجرد مساهمة بسيطة من أستاذ جامعي يشق طريقه على درب البحث العلمي وهو يعرف أن الأزمة - في أحد أوجهها - أزمة كتابة.

الملحق / الإحالات _ المراجع / التعليقات

- 1-**البيان:**نداء للشعب الجزائري .وجهته الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني؛ الأمانة الوطنية في أول نوفمبر 1954 الوثيقة من إعداد المتحف الوطني للمجاهد- الجزائر طبع ANEP المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2002.

تنويه : متاحة على النت باللغتين، http//aps.com وكذلك بموسوعة الويكيبيديا Wikipedia.org الإفتراضية

2- **موريس انجرس** ؛منهجية البحث في العلوم الانسانية ؛ ت. سعيد سبعون وآخرون -دار القصبة- الجزائر دط 2009.

° العقد الاجتماعي : في عرف الفلاسفة ؛ عبارة عن نظرية تتحدث مع روسو Rousseaux(1712 1778) / هوبز Hobbes (1588 1679) / جون لوك J- Lock (1632 1704) عن انتقالالتنازل التاريخاني؛ من حالة الصراع إلى حالة الدولة.

3- **محمد الهادي الحسني**؛ الإحتلال الفرنسي للجزائر...من خلال نصوص معاصرة ؛ منشورات - مؤسسة عالم الأفكار المحمدية (بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية) 2006

***الأرسطوقراطية/الماركسية** : الأولى كنظرية مثالية تقوم عل طبقات ؛الحكماء في أعلاها؛ والعبيد في أدناها عرفتها أثينا الثانيةعرفت بنداء الشيوعية العلمية "ياعمال العالماتحدوا "لأجل ثورة البروليتاريا كطبقة كادحة على البرجوازية الرأسمالية؛ مقاربتنا هنا قائمة أساسا على افارقة بين الثورتين البلشفية والجزائرية؛ من حيث المقاصدوالحصاد !.

4 -**عبد الحميد زوزو** ؛ نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر؛ موفم للطبعة والنشر.الجزائر الطبعة المزيدة

****التراندنستالي**: مرادف للتعالي في عرف الفلاسفةفيما بعد ايمانويل كانط...إلى غاية امتدادات فكر ما بعد الحداثة.

5-**Abderahmane kiouane** . les débuts d'une diplomatie de guerre(1956-1962), journal Ed-dahleb.blida

° **العنف** :من تعاريفه أنه عمل ضاغط يستوجب إستعمال القوة المادية أو المعنوية من أجل إقرار حق ؛ أو سلبه وليس بالضرورة أن يكون سلوكا عدوانيا ؛ إذا ما عرفت أسبابه وتعليلاته القهرية ...(جيرار بورديو ومفهوم العنف الرمزي – يمكن مراجعة موسوعة أو معجم الفلسفة لـ جورج طلرابيشي و غيره ...)

6-**د.محمد العربي ولد خليفة** ؛ المفكرةوالتاريخية - أبعاد و معالم ؛ نشر دار الأمة ؛ الجزائر. دط 2010

*****غادمير(H-G Gadamer 1900/200)**: فيلسوف ألماني معاصر ؛ رأى أن اللغة هرمنيوطيقية أي "أنطولوجية تفسيرية" تكشف دلالة العالم ؛ من مؤلفاته ذات الصلة "الشعب والتاريخ" و"مشكلة الوعي التاريخي" .

7-**L'Etat algérien,**Projet de charte pour la paix et la réconciliation nationale 2005 -

8- **محمد العربي معريش** ؛ سلسلة كتب نشرتها الرابطة الوطنية لإطارات الشباب/طبعة الإصدار السادس .1997

°° **البراغماتية** Le pragmatisme: مذهب فلسفي غربي معاصر ؛ يغلب الجانب العملي النفعي على الجوانب النظرية "السياسة الأمريكية" بعد العزلة أخذت تعمل بمقتضياتهفلا توجد صداقة و لا عداوة دائمةبل مصالح متبادلة !.

9-**Abdelhamid baitar** .afin que nul n'oublie ,ou la révolte des bidonvilles- ENAG/ED , Alger , 2009

10–**Sylvie Hénault** .histoire de la guerre d'indépendance algérienne ,Ed- Flammarion. Paris-2010.CHAPITRE: I –P;19 , l'Algérie française ; une occasion manquée!